# المبحث الثالث
# التفسير

عني اللغويون القدماء باللغة العربية عناية كبيرة؛ لانها لغة القرآن، والحفـاظ عليـه يتطلب حفظ العربية وصيانتها من اللحن، الذي عد من اخطر المصاعب التي واجهتهـا لغـة القرآن؛ لذا ارتبطت الدراسات اللغوية بالدراسات الدينية ارتباطا وثيقا، فقد جاء القرآن موافقا لأساليب العرب في كلامها، ليتم التفاهم بينه وبينهم ، فظهرت علوم القرآن والتفسـير عنـد العلماء الاوائل، فادى ذلك الى بدء حركة المعجمات اللغوية، إذ اهتم اصحابها بجمع اللغة من البوادي، عن طريق السماع والمشافهة، قاصدين بهذا –اول الامر– فهم معاني القرآن الكـريم والسنة النبوية الشريفة . ثم اصبحت تلك المعجمات المصدر الرئيس الذي استعين بـه علـى تفسير الفاظ اللغة عامة ، وتعرف اساليب العرب في التعبير عن المقاصد المبتغاة.

وقد دأب اللغويون في تأليف المعجمات في ترتيبها بحسب المواد، مع اختلافهم فـي طريقة عرضها وتبويبها ، جامعين تحت كل مادة الالفاظ التي تندرج تحتها، مع اعطاء كـل لفظة معناها، وما تتضمنه من معانٍ مختلفة باختلاف استعمالها، واتبعوا في تفسيرهم هذا سبلا متعددة، بلغت تسعة، وهي:

١- التفسير بالمغايرة .

٢- التفسير بالمماثلة .

٣- التفسير بكلمة واحدة .

٤- التفسير بالسياق اللغوي.

٥- التفسير بالسياق السببي (التعليلي).

٦- التفسير بالسياق المجازي.

٧- التفسير بالسياق الاجتماعي.

٨- التفسير بالاحالة.

٩- التفسير بالوصف.

وقد استعملت هذه السبل بحسب طبيعة الكلمة وما يلائمها ، فهم يســتعملون – علــى سبيل التمثيل- السياق السببي في تفسير الالفاظ، التي لا ينكشف معناها بشكل جلــي الا مــن خلال توضيح العلة التي جعلتها تدل على ما دلت عليه. او السياق اللغوي، من اجل معرفة ما تؤديه الكلمة من معان مختلفة باختلاف الاساليب التعبيرية ٠٠ وهكذا في سائر السبل.

## أولا : الـتفسيــــر بالــــمغايــــرة

هو ان تفسر الكلمة بأن تذكر اخرى تقع بالضد منها ، وهو من السبل التي عرفتها المعجمات العربية جميعا. وتستعمل في ذلك الفاظا ثلاثة، هي: ( خلاف، أو ضد، أو نقيض).

ومن امثلة ذلك ، قول صاحب العين: ((الحضر: خلاف البدو))(١). وقول ابن دريد: ((الحب: ضد البغض))(٢). وقول ابن منظور: ((المرض: السقم، نقيض الصحة))(٣) .

وقد اتبع هذا الاسلوب في المعجمات الحديثة ايضا، ومن امثلة ذلك، قول لويس معلوف: ((الآجل والآجلة: ضد العاجل والعاجلة ))(٤). وقول احمد رضا: (( الاوابد من الطير ٠٠ ضدها القواطع))(٥).

وعلى الرغم مما يؤديه هذا الاسلوب من فائدة في الكشف عن المعنى وتوضيحه نجد الدكتور رياض زكي قاسم يضعه ضمن العيوب التي عانتها المعجمات، ويقول: ((هذا المنهج في التفسير لا يدفع بالتعريف المطلوب نحو الكشف والوضوح، وإنما يضعنا أمام كلمة اخرى هي بحاجة كالاولى الى تفسير معناها ))(٦).

ونحن لا نوافقه على هذا الرأي تماما؛ لأن التفسير بالمغايرة – في اساسه – اسلوب لاغبار عليه، ولا غموض فيه ، فهناك من الالفاظ، التي فسرها المعجمون بالمغايرة، ما هو واضح ومعروف، وبعضها ما مثل به، وجعله شاهدا على ما يسببه هذا الاسلوب من غموض وابهام، فيقول: ان العلم فسر بانه نقيض الجهل، والنور ضد الظلمة ٠٠ ويعد تلك الالفاظ المفسرة عاجزة عن تأدية المعنى المطلوب (٧). ولو تاملنا فيما احتج بغموضه لوجدناه واهما؛ إذ ان معناها واضح ومنكشف.

---

(١) العين : ٦/ ٧ (حضر).
(٢) الجمهرة : ٢٥/١ ( حبب).
(٣) اللسان : ٧/ ٢٣١ (مرض).
(٤) المنجد : ٤ (أجل) ، ط٢٢ ، دار المشرق ، بيروت، ١٩٨٦م .
(٥) متن اللغة : ١/ ١٣٤ (أبد).
(٦) المعجم العربي : ٢٧٤.
(٧) ينظر : المعجم العربي: ٢٧٤، د. رياض زكي قاسم.

ولكن الذي يقال في هذا الاسلوب ان المعجميين قد أساؤوا استعماله ؛ لأنهم فسروا به الفاظا لا يتضح معناها به، وتحتاج الى اسلوب اخر تفسر به بشكل افضل. أي ان العيب ليس في الاسلوب وانما في استعمال المعجميين له، يزاد على ذلك انهم استعملوا فيه الفاظا تحتاج الى تفسير، ومن امثلة ذلك، قول الصاحب بن عباد:((والخصوف من الابل: نقيض الجرور))[1]. وقول ابن منظور:((والصرود من البلاد: خلاف الجروم ))[2].

ومنعا لذلك لم يكتف بعض المعجميين بهذا الاسلوب، وإنما اشاروا في بعض الالفاظ الى معناها باسلوب صريح ومباشر، ظنا منهم ان هناك من الالفاظ ما يصعب شرح معناها باسلوب المغايرة حسب. ولتوضيح ذلك، نقرأ قول الزبيدي: ((الانسة محركة: ضد الوحشة وهي الطمأنينة)) [3].

وهناك من المعجميين من يعكس الامر، أي يفسر الكلمة تفسيرا مباشرا، ثم يفسرها باسلوب المغايرة، كقول ابن سيده: ((العدل : ما قام في النفوس انه مستقيم، وهو ضد الجور))[4].

---

(1) المحيط : ٤ / ٢٥٠ (خصف).

(2) اللسان : ٣/ ٢٤٨ (صرد).

(3) التاج : ١٥/ ٤١٤ (أنس).

(4) المحكم : ٢/ ٩ (عدل).

# ثانيا : التـفسيـــر بالممـــاثـــلـــة

وهو ان تفسر الكلمة بأخرى مماثلة لها في المعنى، او قريبة منها، ويتم ذلك باستعمال الفاظ تشير الى ذلك، وهي ( مثل ، أو الكاف ، أو شبيه ، أو بمنزلة).

ومن امثلة ذلك،قول الشيباني: ((الزباب : مثل الفأر ، إلا انـــه أصـــغر))[١]. وقـــول الازهـــــري: ((السحق كالبعد))[٢]. وقـــول الجـــوهري: ((الخنـــة كالغنـــة ، والاخـــن : الاغن))[٣]. وقول ابن منظور: (( لكحة يلكحه لكحا: ضربه بيده، وهو شبيه بالوكز))[٤] .

وقد استعمل هذا الاسلوب كذلك في المعجمات الحديثة، ومن امثلة ذلك، قول لـــويس معلوف: (( داء الاسد: داء كالبرص))[٥]. وقول احمد رضا: ((الأبيد : نبات كالشعير))[٦] .

وتستعمل المماثلة كثيرا في تفسير الألفاظ التي يراد ضبطها، فيأتي المعجمـــي بلفـــظ مماثل للفظ المراد تفسيره في الشكل والمعنى، فيكفيه اللفظ الضابط المفسر مؤونة التفسير بلفظ آخر. ولتوضيح ذلك نقرأ قول السرقسطي (المتوفى في حدود ٤٠٠هــ): (( تأريت: تحريـــت يقال : تأريت لذلك الامر تأريا مثل تحريت تحريا وفي معناه ))[٧]. وقول الزبيدي: (( مابه كؤبة ٠٠ أي تؤبةٌ، وزنا ومعنى))[٨].

# ثالثا : التفسير بكلمةٍ واحدةٍ

[١] الجيم : ٢/ ٤٤ (زبب).
[٢] التهذيب : ٤/ ٢٤ (سحق).
[٣] الصحاح : ٥/ ٢١٠٩ (خنن).
[٤] اللسان : ٢/ ٥٨٤ (لكح).
[٥] المنجد : ١٠ (اسد).
[٦] متن اللغة : ١/ ١٣٤ ( أبد).
[٧] الافعـــال : ١/ ١٢٥ ، تحقيـــق: د. حســـن محمـــد محمـــد شـــرف ، المطـــابع الاميريـــة، القـــاهرة ١٣٩٥ هــ – ١٩٧٥م.
[٨] التاج : ٤ / ٩٣ ( كأب).

وهو على قسمين:-

## الأول : التفسير بالمرادف

وهو من الاساليب العامة المستعملة في المعجمات كافة. يصار إليه حين تكون اللفظة غامضة، فتأتي اللفظة المرادفة لها فتزيل ذلك الغموض، وتقرب معناها ؛ لأنها ستكون أوضح من الاولى.

ومن امثلة ذلك، قول صاحب العين: ((الدحض : الزلق))[(١)]. وقول ابن دريد: (( الأب: المرعى ))[(٢)]. وقول ابن منظور: (( الكر: الرجوع)) [(٣)].

وهو الاسلوب مفيد في تفسير الفاظ كثيرة، ولكن المعجميين اساؤوا استعماله في عدد من الالفاظ؛ لأنهم كثيرا ما يستعملون مرادفات هي أغمض من التي يراد تفسيرها فيضطر القارئ ان يبحث في مكان اخر من المعجم ليعثر على مراده، كقول صاحب العين: ((المخدة : المصدغة))[(٤)] . والملاحظ في هذا انه فسر (المخدة) اللفظة المعروفة بلفظة غامضة وغير معروفة، مما يوجب على القارئ الرجوع الى ما قاله المعجميون في معنى هذه الاخيرة ليحصل على مايريد. ونجد الامر نفسه عند ابن منظور، في قوله: (( الولوال : البلبال)) [(٥)]. وهو يريد الذي يدعو بالويل، مثل المرأة عندما تولول، والناظر في قوله لا يجد المرادف الذي استعمله دال على المعنى المراد بشكل واضح .

---

(١) العين : ٣/ ١٠١ ( دحض).

(٢) الجمهرة : ١/ ١٣ (أبب).

(٣) اللسان: ١٣٥/٥ (كرر).

(٤) العين : ٢/ ١٣٩ (خدد) ، ولمزيد من التوضيح نقرأ في مادة ( حجل ) قوله : ( الحجل : القبج ) المصدر نفسه : ٣ / ٧٨.

(٥) اللسان : ١١/ ٧٣٦ ( ولول).

وتلافيا لذلك الغموض لم يكتف نفر من المعجميين بالمرادف فقط ، بل استعملوا مع ذلك اسلوب الوصف؛ لتوضيح المعنى والكشف عنه، كقول الازهري: ((الصعدة: الالة، وهي نحو من الحربة او اصغر منها ))[1].

ونحن في ذلك نعذر اولئك العلماء، ونجد لهم مخرجا؛ لأنهم اعتمدوا في تفسيرهم على المتداول والشائع في زمنهم.

وفضلا عن استعمال المعجمات القديمة هذا الاسلوب، فقد استعملته الحديثة، ومن أمثلة ذلك، قول لويس معلوف: ((الأبهة ، والأبهة : العظمة ))[2]. وقول احمد رضا: (( الأباش: المكتسب))[3].

## والثاني: التفسير بالاعتماد على معرفة القارئ

يهمل المعجمي، احيانا ، تفسير الكلمة ، ويكتفي باستعمال لفظة (معروف)، وهو اسلوب لا يحقق الغاية التي من اجلها الف المعجم ، ويجد القارئ نفسه امام الفاظ لا يعرف حقيقتها ، لذا يجب تجنب هذا الاسلوب في التفسير ، والابتعاد عنه كليا ؛ لأن الاعتماد على معرفة القارئ في التفسير فيه من المجازفة الشيء الكثير.

ويبدو ان المعجمي في هذا الاسلوب يراعي الزمن الذي يعيش فيه فقط، بغض النظر عما سيأتي بعده ، فمن الالفاظ التي قد تخفى على القارئ لفظة (الوشي) ، قال ابن منظور: ((الوشي من الثياب معروف)) [4]. ونحن نقطع جزما ان كثيرا من المختصين لا يعرفون ذلك المعنى، فكيف بعامة الناس . وذلك غيض من فيض ، فلو قرأنا في المعجمات لوجدنا عشرات الالفاظ التي تنتمي لذلك النوع.

ونجد الامر نفسه حين تستعمل الالفاظ الاتية: (موضع، نبات، قبيلة ... ونحو ذلك).وهي كذلك لا توضح اللفظة المراد تفسيرها، وتظل معها

---

[1] التهذيب : ١٥ / ٤٣٤ (أل ).

[2] المنجد : ٢(أبه).

[3] متن اللغة : ١/ ١٣٥ (أبش).

[4] اللسان : ١٥/ ٣٩٢ ( وشي).

غامضة ومبهمة ، وكأنها وضعت في المعجم لغرض الاطلاع فقط . ومن امثلة ذلك، قول الصاحب بن عباد :(( فدك : موضع بأرض الحجاز))[1]. وقوله ايضا: (( الخزامي والخزم : نبتٌ))[2]. وقول الجوهري: ((جهينة: قبيلة.. وفي المثل: وعند جهينة الخبر اليقين))[3].

وكالمعتاد ظهر معجميون حاولوا معالجة ذلك ، فابن دريد لا يكتفي عند تفسير بعض الالفاظ بلفظة (معروف) ، بل يحاول ان يفسرها تفسيرا يكشف عن معناها ويجعله سهل المنال، كقوله: ((وزمكي وزمجي: معروف، الموضع الذي ينبت عليه ريش الذنب من الطير))[4] . ونحن نجزم ان هذه اللفظة فيها من الغموض ما يجعل القارئ عاجزا عن فهمها لولا البقية التي سجلها صاحب النص. ولمزيد من التوضيح نقرأ ما أجراه المعجميون ،لاحقا في التفسير باسلوب الوصف.

---

(1) المحيط : ٦/ ٢١٥ ( فدك ).

(2) المصدر نفسه : ٤/ ٢٨٢ ( خزم).

(3) الصحاح : ٢٠٩٦/٥ (جهن).

(4) الجمهرة : ٣/ ١٦ ( زمك).

# رابعا : التفسير بالسياق اللغوي

عمد اصحاب المعجمات الى تفسير الكلمة من خلال توظيفها في سياقات لغوية توضح ما تفيده من معانٍ مختلفة باختلاف موقعها فيها . وقد شاع ذلك كثيرا في المعجمات القديمة والحديثة . وهو من الاساليب النافعة في بيان المعنى الوظيفي للكلمة داخل الجملة ؛ إذ ان تعدد معناها في المعجم يرجع الى صلاحيتها للدخول في اكثر من سياق ، وثبوت ذلك لها بسبق استعمالها في نصوص عربية قديمة وحديثة، ومن صلاحيتها تلك يأتي تعدد معناها في حالة الافراد [1].

ومن امثلة ذلك ، قول صاحب العين : (( عارت العين تعار عوارا ، وعورت ايضا واعورت : يعني ذهاب البصر .. ويقال : يرد على فلان عائرة عين من مال ، وعائرة عينين: أي ترد عليه ابل كثيرة .. وعور عين الركية : افسدها .. وسهم عائر : لايدرى من اين اتى .. وقصيدة عائرة : سائرة .. وتعاورت الريح رمسا حتى عفته: أي تواظبت عليه))[2]. والناظر في لفظة ( عور) يجد لها معاني مختلفة باختلاف ورودها في السياق وهذه المعاني لا تتضح إلا بتلك السياقات، التي اختص كل منها بمعنى محدد يختلف عن الاخر، فيصير المعنى لدى القارئ محددا، ويعرف في أي حال يستعمل.

ومما عيب على المعجميين في هذا الاسلوب، ان بعضهم اعتمد عليه كثيرا ، واتخذ منه أساسا في كثير من المواد، من غير شرح وايضاح لمعنى اللفظة. فاصبح الأمر غامضا لان المعجمي يتخذ من ادراك القارئ – لما يفيده السياق من معان قد تكون بعيدة أو قريبة الى ذهنه– معتمده الرئيس في التفسير[3]. وقد استعمل هذا الاسلوب كذلك في المجمعات الحديثة[4]؛ لانها اعتمدت على القديمة اعتمادا كاملا، ونقلت ما فيها من المادة اللغوية، من غير تغيير جوهري.

---

(1) ينظر : : اللغة العربية – معناها ومبناها : ٣٢٣ و ٣٢٤ .

(2) العين : ٢/ ٢٣٥ –٢٣٩ (عور).

(3) لتوضيح ذلك ، ينظر : أساس البلاغة:٢٦ (أيد) و (أيض).

(4) ينظر : المنجد: ٦٧٩ (كرب)، وفاكهة البستان: ٦٩١ (سوق)، لعبد الله البستاني، المطبعة الاميركانية بيروت ، ١٩٣٠م، ومتن اللغة: ٣٧٠/١ (باض).

وفي سبيل تثبيت المعنى المشروح، واضفاء صفة الشرعية عليه، ومعرفة طرق استعماله، لجأت المعجمات القديمة إلى استعمال الشواهد الفصيحة. فلا يكتفى بشرح المعنى فقط، بل يعزر بالشواهد التي تزيده وضوحا وجلاءً؛ ((لان شرح المعنى من دون استشهاد على الشرح، لا يعطي فكرة واضحة عن طريقة استعمال الكلمة، أي إن القيمة الحقيقية لهذا الاستشهاد تكمن في الكشف عن الطرق المختلفة، التي تستعمل بها الكلمة في نطاق التركيب بعد أن عرف معناها المفرد؛ لأن مجرد الكشف عن هذا المعنى، مهما تعددت المعاني المشروحة، لا يمكن أن يرشد الى طريقة الاستعمال في التراكيب المختلفة باختلاف الرتبة والتضاد وغيرها من القرائن))[١] .

والمراد بالشاهد هنا، ما يؤتى به من الكلام العربي الفصيح؛ ليشهد بصحة نسبة لفظ أو صيغة، أو عبارة، أو دلالة إلى العربية[٢]. وقد استمد المعجم العربي ذلك من مصادر اربعة، هي: القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر، والنثر الفني.

وقد اختلف منهج المعجميين في استعمال تلك الشواهد، فمنهم من يقدمها على المعنى ومنهم من يؤخرها. وتاخيرها عن المعنى هو الوضع الطبيعي لها، لكي تتحقق الغاية من وجودها.

ولم يكتف المعجمي، أحيانا، بتفسير اللفظة المقصودة، بل يحاول أن يفسر ما غمض في الشاهد الذي يسوقه، ومن أمثلة ذلك، قول صاحب العين: ((العج: رفع الصوت٠٠ وفي الحديث (أفضل الحج العج والثج). فالعج: رفع الصوت بالتلبية. والثج: صب الدماء))[٣]. وفي ذلك فائدة لم تأت في مكانها المناسب، فلا بد أن يقتصر التفسير على اللفظة التي سيق من اجلها الشاهد حسب، وترك ما بقي، منعا للتكرار الذي يحصل حين يصل المعجمي الى المادة التي تقع تحتها تلك اللفظة التي فسرها ضمن الشاهد.

ولاهتمام المعجميين بالشاهد اللغوي، نجدهم في بعض المواد يقتصرون عليه في التفسير، أي انهم يهملون تفسير اللفظة، ويكتفون بايراد شاهد، يحسبونه كفيلا بايضاح المعنى

---

(١) اللغة العربية – معناها ومبناها: ٣٣٠.

(٢) ينظر: الاحتجاج بالشعر في اللغة: ٥١.

(٣) العين: ١/٧٧ (عج).

وهو ظن غير صحيح، ونرى ذلك واضحا في قول الصاحب بن عباد: ((وفي الحديث (نكاح الاماء خير من الخضخضة، والخضخضة خير من الزنا) ))[1]. ومثله أيضا قول ابن فارس: ((الاشاش والهشاش سواء، وفي الحديث: كان إذا رأى من أصحابه بعض الاشاش وعضهم))[2] . ويكتفون بتلك الاحاديث لبيان المعنى، وكأن غايتهم الرئيسة في ذلك هي تسجيل ما روي من أحاديث فقط.

ولابد في بناء المعجم، أن يكون لكل لفظة شاهد فصيح، يؤكد معناها ويثبت روايتها وإلا اصبحت محط شك وريبة، ولبيان ذلك نقرأ قول ابن سيده: ((والقضيم: الجلد الابيض وقيل: هي الصحيفة البيضاء. وقيل: النطع. وقيل العيبة. وقيل: هو الأديم ما كان. وقيل هو حصير منسوج))[3]. والملاحظ انه أورد معاني متعددة للفظ من غير تثبت وتحقيق، وكأن همه الاول النقل، وتسجيل ما قيل، من غير النظر فيما ينقله من معان، وايهن الاصوب، فيجعلنا ذلك نشك في صحة ورودها عن العرب؛ لعدم ورود شاهد عليها.

ومن خلال مطالعتنا في المعجمات وجدنا أن القديمة منها قد استعملت مصادر الاستشهاد الاربعة بنسب متقاربة، أما الحديثة فكان استعمالها لها بنسب متفاوتة، فكان الاكثر النثر الفني، أما المصادر الاخرى فكانت قليلة ونادرة.

# خامسا : التفسير بالسياق السببي

(1) المحيط: ٤/١٥٥ (خض).
(2) المجمل : ١/٨٠ (أش).
(3) المحكم : ٦/١١٥ (قضم).

لقد أتخذت المعجمات اللغوية من السياق التعليلي اسلوبا للتفسير في طائفة من الالفاظ، اعتمادا على الوشائج التي تربط تلك الالفاظ بمعانيها، إذ إن ((الالفاظ العربية معللة أي ان تسمية الاشياء والاحداث باسمائها- أي بالالفاظ الدالة عليها- وقعت لعلل، فلم يطلق اللفظ على مسماه عبثا أوعشوائيا ، وإنما أطلق تعبيرا عن ملحظ في الشيء المسمى، اتخذ ذلك الملحظ علامة عليه، ثم صار اللفظ المعبر عن ذلك الملحظ اسما للشيء كله٠٠ وتعليل الاسماء هذا صرح به ابن الاعرابي (٢٣١هـ)، وهو من أئمة اللغويين، فقال: الاسماء كلها لعلة، خصت العرب ما خصت منها، من العلل ما نعلمه، ومنها ما نجهله))[١].

وجعل المعجميون اعتمادهم في ذلك على ظاهرة الاشتقاق، التي أعانتهم كثيرا على معرفة القرائن، التي جعلت طائفة معينة من الالفاظ تدل على ما دلت عليه من معان اصبحت ملازمة لها، وفي هذا يقول ابن فارس: ((أجمع أهل اللغة – إلا من شذ عنهم – أن للغة قياسا وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض))[٢].

وبذا أصبح السياق السببي، أو ما يسمى (التفسير الاشتقاقي)[٣] اسلوبا مستعملا في المعجمات، ولاسيما في الالفاظ التي عرف المعجميون العلة التي جعلت منها اسما لذلك الشيء، وأول من نظر في تلك الوجهة صاحب العين.

ويتم ذلك باستعمال أدوات تعليلية ثلاث، هي: (اللام السببية، او لأن، او إنما). وقد تفسر الكلمة تفسيرا سببيا بالسياق، من غير تلك الادوات.

فمن أمثلة استعمال اللام، قول صاحب العين: ((الجن: جماعة ولد الجان٠٠٠ سموا به لاستجنانهم من الناس فلا يرون))[٤].

أما استعمال الاداة (لأن)، فشاهده قول الزمخشري: ((سميت الجارية؛ لأنها تستجرى في الخدمة))[٥].

---

[١] الاحتجاج بالشعر في اللغة: ١٨.

[٢] الصاحبي : ٥٧.

[٣] ينظر : المعجم العربي: ١/٢٦٠، د. حسين نصار.

[٤] العين: ٦/٩٢١ (جن).

[٥] أساس البلاغة: ٩١ (جري).

أما (إنما)، التي تستعمل للتعليل بمعاونة قرينتها الاخرى (لأن)، فمن أمثلتها، قول الزبيدي: ((والباءة٠٠ والباء٠٠والباهة٠٠ والباه، فهذه أربع لغات بمعنى النكاح٠٠ وإنما سمي به؛ لأن الرجل يتبوأ من أهله، أي يستمكن منها كما يتبوأ من داره))[1]

ومن الحق أن نصف هذه الاسلوب، بأنه اسلوب تفسيري لطيف، ومعرفة الالفاظ التي فسرت به ألطف؛ إذ ينير لنا مسالك نحن في غفلة عنها، تشير إلى حكمة الواضع وتفننه في المسارات التي تحدد العلاقة بين الدال والمدلول. مما جعل المعجمات اللغوية كلها تمتهنه في شرح الفاظ كثيرة، وحتى الحديثة منها، قال احمد رضا: ((أبلس: دهش وتحير سكت غما وحزنا، ومن رحمته تعالى يئس، ومن ذلك سمي أبليس))[2].

## سادسا : التفسير بالسياق المجازي

(1) التاج: ١/١٥٣ (بوأ).

(2) متن اللغة : ١/٣٣٦ (بلس).

وهو أسلوب يرمي إلى بيان حقيقة الدلالة من مجازها، في استعمالات المادة المعجمية، وفيه يلجأ المعجمي إلى استعمال ضروب المجاز، وتعدد ألوانه في كشوفات الدلالة. ويغلب هذا اللون على المعجمات التي اتسمت ببيان وجوه الجوانب المدركة والمتصورة في الذهن، وهي المعاني الحقيقية التي وضعت لأصل الالفاظ، والاخرى التي استعملت في غير ما وضعت له[١].

وأول تلك المعجمات (أساس البلاغة) للزمخشري، الذي كانت غايته الرئيسة فيه تمييز المعاني الحقيقية من المعاني المجازية، وهو معجم أدبي لا يدعي استقصاء كل الفاظ اللغة، وإنما غايته جمع الفصيح الوارد في أساليب الادباء والبلغاء، وكأنه التزم بعنوانه[٢].

ومن أمثلة ذلك، قول الزمخشري: ((أجج النار فتأججت وأجت٠٠٠ومن المجاز مر يؤج في سيره: إذا كان له حفيف كحفيف اللهب))[٣]. وقوله أيضا : ((مجدت الغنم مجودا: أكلت البقل حتى هجع غرثها. ومن المجاز مجد الرجل ومجد : عظم كرمه))[٤].

والملاحظ ان الزمخشري – في اساسه – كان يصدر المعاني المجازية بعنوان يفصلها عن المعاني الحقيقية ، ثم انه اتبع التسلسل الوضعي في ذلك ، فكان يقدم الحقيقية على المجازية ، وقد تغيرت عباراته في هذه الاخيرة ، فكانت في اكثرها (ومن المجاز)، من غير تحديد لنوعه، وكانت في بعضها (من التشبيه، أو من الكناية، أو من الاستعارة)، وهذه ايضاً لم يحدد أنواعها ؛ لأن غايته الرئيسة – مثلما اشرنا انفا – كانت فصل المعاني الحقيقية عن المجازية ، وتحديد العلاقة بينهما بعنوان رئيس، من غير الاشارة الى العنوانات الفرعية اعني بذلك انواع المجاز والكناية والاستعارة.

وهو في ذلك يختلف عما سبقه من المعجميين ، فهم لم ينصوا على المعاني المجازية كلها مثلما فعل ، بل اهملوا بعضها ، واشاروا الى بعضها الاخر بأسلوب يبتعد عن التصريح ومن أولئك الأزهري ، الذي قال : ((الشقة : شظية تشق من لوحٍ أو خشبة ، ويقال للإنسان

---

[١] ينظر: المدارس المعجمية: ١٨.

[٢] ينظر : كلام العرب من قضايا اللغة العربية: ١٣٤.

[٣] الاساس: ١٢ (اجج).

[٤] المصدر نفسه: ٥٨٢ (مجد).

عند الغضب : احتد فطارت منه شقة في الأرض وشقةٌ في السماء))[1]، والملاحظ في هذا ان المعنى الاول كان حقيقيا ، والآخر مجازيا ، والأزهري لم ينص على ذلك ، بل اعتمد على فهم القارئ له.

وقد وجدنا الزبيدي متأثرا بالزمخشري في هذا الاسلوب، فهو يشير الى الاستعمال المجازي بقوله (ومن المجاز)، أو غيرها من العبارات التي أشرنا إليها آنفا ، وقد حرص على تسجيل المعاني المجازية إلى جنب المعاني الحقيقية ، فلا نكاد نرى مادة من مواد معجمه تخلوا من تنبيهاته على المعاني المجازية، لذا يعد معجمه من أكثر المعجمات اللغوية عناية بهذا الامر بعد (الاساس) الذي عد رائدا في هذا الميدان، ويكفي القاء نظرة في أي مادة من مواده لتأكيد ما قلناه .

وقد نجد لهذا الاسلوب صدىً في المعجمات الحديثة ، ومن أمثلة ذلك ، قول لويس معلوف : ((الآخر : بمعنى غير ، ولكن مدلوله خاص بجنس ما تقدمه ، فلو قلت : رجل وآخر معه ، لم يكن الآخر إلا من جنس ما قلته بخلاف (غير) فانها تقع في المغايرة مطلقا. ومن الكناية (أَبعدَ الله الآخر): أي من غاب عنا وليس منا))[2].

## سابعا : التفسير بالسياق الاجتماعي

---

(1) التهذيب : ٨/ ٢٤٨ (شقَّ).

(2) المنجد : ٥ (أخر).

استعملت معجماتنا اللغوية السياق الاجتماعي، بوصفه واحدا من السبل التي بها يتضح المعنى المستعمل للكلمة، وذلك بسرد واقعة أو حدث، يضم في أثنائه الكلمة المراد تفسيرها. وهو يمنح الكلمة معنى حيا، ينبض بالواقع الاجتماعي، الذي تدوولت به الكلمة في أدق ملامحها ، ويحمل الينا سياق الحال الذي عاشت فيه دلالتها نطقا بين الناس[1] . فتصبح تلك الواقعة شاهدا على استعمال الكلمة بلفظها ومعناها.

وقد استعمل في اكثر المعجمات القديمة ، ومن أمثلة ذلك ، قول ابن دريد : (( السبة: الدبر، وسأل النعمان بن المنذر رجلا طعن رجلا، فقال: كيف طعنت ؟ قال : طعنته في الكبة طعنا في السبة فأنفذتها من اللبة.قال ابو بكر: فقلت لابي حاتم : كيف طعنه في السبة وهو فارس؟ فضحك وقال انهزم فأتبعه على رهقة اكب ليأخذ بمعرفة فرسه فطعنه في سبته أي في دبره ))[2].

ويندرج تحت هذا الاسلوب ما جاء في ذكر اصل المثل ، ومن أمثلة ذلك، قول ابن سيده: ((رعدت السماء ٠٠ صوتت الامطار ، وفي المثل ( رب صلف تحت الراعدة) يضرب للذي يكثر الكلام ولا خير فيه))[3].

ولهذا الاسلوب مضار تفوق منافعه ؛ لأنه كان سببا في تضخم المعجم العربي وتحشيته بأشياء تعد – في المفهوم المعجمي الحديث – زائدة ، ونفعها نزر لا يسوغ ذكرها عند التفسير، لذا تخلت عنه المعجمات الحديثة، ولم تستعمله في التفسير ، ولعل السر في ذلك ميلها الى الاختصار والايجاز في تفسير الكلمة ، وابقاء ما ينفع لتوصيل المعنى لطالبه . وبذا سلمت من الاسهاب والاستطراد الذي اثقل كاهل المعجمات العربية.

---

(1) ينظر : المعجم العربي: ٢٥٤ ، د. رياض زكي قاسم.

(2) الجمهرة : ١/ ٣١ (سبب).

(3) المحكم : ٢/ ٦ (رعد).

# ثامنا : التفسير بالإحالة

وهو اسلوب يستعمل مع الألفاظ التي يصلح ورودها في موضعين ، فيحاول المعجمي ان يفسر اللفظة في موضع واحد ، ويحيل في الاخر على ما قاله في الموضع الأول.

ويشمل ذلك طائفتين من الالفاظ:

-**احداهما:**- تلك التي اختلف في اصلها ،ولاسيما الالفاظ التي دخل في بنائها حرف علة كقول ابن منظور : ((باد الشيء بوادا : ظهر. وسنذكره في الياء ايضا ))[1].

ولو استعمل هذا الاسلوب استعمالا صحيحا لكانت فائدته كبيرة في معالجة التكرار الذي يحصل نتيجة ورود الكلمة في موضعين ، لكن الذي يحصل، غالبا، أن المعجمي يكرر الكلام نفسه في كلا الموضعين ، كقول الجوهري : ((موسى : اسم رجل، قال الكسائي: هو فعلى، وقال أبو عمرو بن العلاء: هو مفعل ٠٠ ويذكر في باب المعتل))[2] . ثم يعيد الكلام نفسه في باب المعتل[3] .

-**واخراهما:**- تلك التي تشترك في التعليل الصرفي للصيغ ، فيحاول المعجمي ان يبين ذلك في لفظة واحدة ، ويحيل عليها في الالفاظ التي تشبهها ، كقول الجوهري : ((الهراوة : العصا الضخمة ، والجمع الهراوى بفتح الواو مثل مطايا ، كما قلناه في الإداوة))[4] . ولبيان ذلك نقرأ قوله في الموضع الذي أحال عليه :(( والإداوة : المطهرة ، والجمع الأداوى ، مثل المطايا ٠٠ وكان قياسه أدائي مثل رسالة ورسائل ، فتجنبوه وفعلوا به ما فعلوا بمطايا وخطايا فجعلوا فعائل فعالى ، وأبدلوا هنا الواو ليدل على انه قد كانت في الواحدة واو ظاهرة فقالوا أداوى. فهذه الواو بدل من الألف الزائدة في إداوة ، والألف التي في آخر الأداوى بدل من الواو التي في إداوةٍ ، وألزموا الواو ههنا كما ألزموا الياء في مطايا))[5].

---

[1] اللسان : ٣/ ٩٧ (بود).
[2] الصحاح: ٣/ ١٩٨٠ ( موس).
[3] ينظر : المصدر نفسه : ٦/ ٢٥٢٤ ( وسى).
[4] الصحاح : ٦/ ٢٥٣٥ ( هرا).
[5] المصدر نفسه : ٦/ ٢٢٦٦ ( أدا).

ويستعمل كذلك مع الالفاظ التي ترد في غير مواضعها، فيحاول المعجمي التنبيه على بابها الذي تفسر تحته، كقول ابن دريد: ((العضرط: الدبر. والعضروط: الأجير. فأما العضرفوط فستراه في بابه إن شاء الله ))[١].

وينبغي أن يستعمل هذا الاسلوب مع الالفاظ الغامضة، التي ترد في أثناء الشاهد اللغوي، الذي يسوقه المعجمي في الكلمة المراد تفسيرها. وهذا يبعدنا عن التكرار، الذي قد يحدث حين يحرص المعجمي على تفسير تلك الالفاظ زيادة على الكلمة المسوق فيها الشاهد وقد رأينا ذلك، أنفا، عند صاحب العين[٢].

وقد تكون الغاية من وراء هذا الاسلوب اعانة القارئ على الوصول الى مواضع الالفاظ، التي يصعب معرفة جذورها التي تقع تحتها. وتلك غاية وضعها الرازي امام ناظريه فقد حرص كثيرا على تسجيل فهارس، تبين اصول ما غمض من الالفاظ ، وتعين المواضع التي ترد فيها ، كقوله : اتأد – في وأد. واتجر بالدواء – في وجر[٣]... ونحو ذلك. ومع ما يحمل هذا الاسلوب من فائدة فهو لا يخلو من الحشو ، ففي كلمة (أُجاج) يحيل الرازي على مادة (أجج) ، وهي إحالة لا مبرر لها ؛ لأن جذر الكلمة معروف ، ثم انه اوردها بعد إحالته مباشرة [٤].

وقد يلجأ المعجمي الى اسلوب الإحالة حين يشعر بأن اللفظة المفسرة تحتاج – هي الاخرى – إلى تفسير ، فيحيل القارئ على موضعها حيث تفسيرها ، كقول الفيروز أبادي : (( الجماء : الغفير بأجمعهم. وذكر في غفر))[٥].

وقد تابع المعجميون المحدثون القدماء في هذا الاسلوب، واخذ عليهم ما اخذ على من سبقهم، وهو تكرار المعنى في موضعين، فمن امثلة ذلك، ما ذكره اصحاب (المعجم الوسيط) في مادة (ابن)، اذ قالوا: ((إبان الشيء: اوانه. وانظر (اب) ))[٦]. وحين ننظر في مادة (ابب) (ابب) نجد الكلام نفسه[٧].

---

[١] الجمهرة : ٣/ ٣٤٠ ( الراء والضاد من الرباعي).

[٢] ينظر:٨٦ من هذه الرسالة.

[٣] ينظر: المختار : ٤.

[٤] ينظر: المصدر نفسه : ٦.

[٥] القاموس المحيط : ٤/ ٩٢ (جم).

[٦] المعجم الوسيط: ٣/١.

[٧] المصدر نفسه: ١/١.

# تاسعا: التفسيـــر بالــوصــف

وهو بيان حقيقة ما تدل عليه الكلمة، بالوصف المادي، في سبيل تقريب المعنى وتوضيحه بشكل يجعله في متناول الافهام، ولاسيما مع الالفاظ التي اصبحت اعلاما لأشياء لا يتصور شكلها إلا بوصفها، كاسماء النبات ، والحيوان ، والمدن.

ومن أمثلة ذلك، قول القالي في وصف النبات:(( الشبرق بكسر الشين وفتح الراء: هو الخلة، وهو ينبت بأعلى نجد، وأكثره بالحجاز، وهو يرتفع من الارض ذراعا، وله وريقة غبراء، إذا يبست انحنت، وهو صالح للابل إذا كان رطبا، نعم المرتع للابل والعنز.))[١].وقول الزبيدي في وصف الحيوان: ((الغر بالضم: طير سودٌ ، بيضُ الرؤوس في الماء ))[٢]. وقوله ايضا في وصف المدن: (( سجلماسة ٠٠ هي قاعدة ولاية بالمغرب ، ذات أنهار وأشجار غزيرة بالخيرات ، يقال : انه يسير الراكب في أسواقها نصف يوم فلا يقطعها، وليس لها حصن ، بل قصورها شامخة ، وعماراتها متصلة ، وهي على نهر يأتي من المشرق وهي المشهورة بتافلات الان ))[٣] .

والملاحظ فيما سبق، ان المعجميين الذي اتبعوا هذا الاسلوب لم يقفوا عند حدود قولهم: نبات ، أو حيوان ، أو مدينة ، مثلما فعل عدد من المعجميين، ولا سيما القدماء ، بل ذكروا معلومات لابد من ذكرها ؛ ليكون المراد ماثلا أمام القارئ ، فأشاروا إلى هيأة النبات ولونه، ورائحته، وأماكن زراعته. ثم انهم يشبهونه، احيانا، بنبات أخر ، مع ملاحظة الاختلاف بينهما ؛ ليكون ذلك وسيلة لتخيل شكله . ونجد ذلك مجسدا بأعلى صوره عند الزبيدي، كقوله: ((نبات الصبر : كنبات السوسن الأخضر، غير ان ورق الصبر أطول وأعرض وأثخن كثيرا، وهو كثير الماء جدا))[٤] .

---

[١] البارع : ٥٣٠ و ٥٣١ ( شبرق).
[٢] التاج : ١٣/ ٢٢٧ (غرر).
[٣] المصدر نفسه : ١٦/ ١٤١ (سجلمس)
[٤] المصدر نفسه : الصحيفة نفسها (صبر).

وكذلك في وصفهم الحيوان ، فانهم ينبهون على هيأته، ولونه، وخواصه التي ينماز بها من غيره، ونحو ذلك من الصفات. أما المدن فانهم ينبهون على مواقعها، ومظاهرها الحضارية، والثقافية، والاجتماعية ٠٠ وغير ذلك .

ويدخل ضمن هذا الاسلوب التفسير بالرؤية والمشاهدة، الذي استعمل كثيرا في المعجمات المتأخرة ؛ ليكون شاهدا محققا الدلالة ومقويها، وحجة على ما يقوله المعجمي. وقد عد ( تاج العروس) الرائد في ذلك، إذ جعل فيه الزبيدي الرؤية والمشاهدة واحدا من مصادر مادته المهمة، فقد عرف عنه تجواله في مواطن كثيرة من العالمين العربي والاسلامي . فهو رجل جوالة انتقل من الهند الى اليمن، ثم الى الحجاز، ثم مصر، ثم بلاد الشام(١). ومن امثلة ذلك، قوله: (( والطرفاء: منبت الطرفة، وبه سميت العزبة بقرب مصر، وقد رأيتها))(٢) وقوله أيضا: (( الغرز : نبت رأيته في البادية ، ينبت في سهولة الارض))(٣).و ذكر في مواضع متعددة تفصيلات مسهبة ومتشعبة، حتى ان القارئ فيه يشعر انه امام موسوعة علمية تضم مختلف العلوم ، فاصبح مثقلا بمعلومات قد يكون بعضها زائدا.

وقد لجأت المعجمات الحديثة الى رفد الوصف بالصورة ، زيادة في التوضيح، ورؤية ما تدل عليه اللفظة، ولاسيما في المدلولات التي يجهل القارئ هيئاتها، كالحيوانات، فبعضها يصعب تخيل شكله اذا ما اقتصر على الوصف، فتأتي الصورة لتمثل ذلك الشكل،ومن امثلة ذلك، لفظة (الحبارى): وهو نوع من انواع الطيور، فلم يكتف اصحاب (المعجم الوسيط) بالوصف، وانما وضعوا صورة، تسجد ما قالوه (٤). ومن جهة اخرى، نجدهم يستعملون الصورة مع الفاظ تشير الى اشياء معروفة لعامة الناس، ومن امثلة ذلك، لفظة (المروحة) فانهم لم يكتفوا بوصف مدلولها، وانما راحوا يرسمون لها صورة (٥) ، لا مسوغ لوجودها.

---

(١) ينظر : الزبيدي في كتابه تاج العروس : ٢٢٦ و ٢٢٧.
(٢) التاج : ٦/ ١٨١ (طرف).
(٣) المصدر نفسه : ١٥ /٢٥٤ ( غرز).
(٤) ينظر: المعجم الوسيط: ١٥١/١ (حبر).
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨١/١ (روح).

# عيوب التفسير

بعد ان انتهينا من السبل التي استعملت في التفسير ، ووضعنا كلا منها في ميزان النقد ، بقي لنا حق يملي علينا تسجيل طائفة من المأخذ، التي عانها اسلوب التفسير في المعجمات اللغوية ، وهي:

## اولا: *التكرار*

انتشرت في المعجمات ظاهرة اعادة المعنى الواحد بأساليب مختلفة، كل منها مستمد من مصدر يختلف عن الآخر، ولعله السبب الرئيس فيما نراه من تكرار للمعنى الواحد في المادة الواحدة, وهذا يحدونا على تأكيد حقيقة تقول: إن المادة المعجمية جمعت اعتباطيا ، من غير تنظيم يعتمد على مقابلة النصوص، وموازنتها، وحذف المتكرر منها، وعدم السماح لاختلاف المصادر أو الصيغ أن يكون حجة لتكرار المعنى.

ولتأكيد تلك الحقيقة نقرأ قول القالي: ((يقال انك ذو نهى٠٠ ونهاية٠٠ أي ذو عقل٠٠ ويقال انه ذو نهية٠٠ إذ كان ذا عقل.))(١). والناظر في هذا يدرك جيدا ما اثبتناه، فالمعنى واحد لم يتغير، فلا داعي لتكراره مع كل صيغة.

ومن أمثلة تكرار المعنى باختلاف المصادر، قول الأزهري: (( قال ابو عبيدة في قول النبي (صلى الله عليه وسلم): (إياكم والقعود بالصعدات)، قال: الصعدات: الطرق، مأخوذة من الصعيد: وهو التراب، وجمع الصعيد صعد، ثم صعدات جمع الجمع٠٠٠ وقال ابو عبيد: الصعدات: الطرق في قوله: (إياكم والقعود بالصعدات) )) (٢). وقارئ هذا النص يقف متحيرا ودهشا من هذا التكرار، ليس في المعنى فقط وانما في الالفاظ ايضا، فالرواية الثانية التي رويت عن ابي عبيد لا تختلف – البتة – عما روي في الاولى عن ابي عبيدة.

---

(١) البارع: ١٢٤ (نهى).

(٢) التهذيب: ٢٦٨/٩ (صعد).

وقد تسرب ذلك التكرار الى المعجمات الحديثة، التي حرص مؤلفوها – بحسب دعواهم – على الايجاز، والاختصار، وحذف ما يمكن الاستغناء عنه، ومن أمثلة ذلك، قول بطرس البستاني: ((قال أبو زيد: الاين بمعنى الاعياء۰۰۰ الاين: الاعياء))[1]. وقد تذكر اللفظة في مادتين، ويعاد التفسير نفسه مع كل منهما، ففي معجم (متن اللغة) تكررت لفظة (ايهٍ) في مادتي (أوه)[2]، و (اوي)[3]، وتكرر فيهما معناها.

## ثانيا: سوء التفسير

ويتمثل بالمنهج المتبع في تفسير بعض الالفاظ اعتمادا على تفسير اللفظة بأخرى، ثم تفسير هذه الاخيرة بالاولى، ويسمى هذا الاسلوب (التعريف الدوري)، واسمه هذا ينبئ بأن القارئ يدور معه في حلقة مفرغة لا يخرج منها بشيء ينفع.

ومن أمثلة ذلك، ما قاله الفارابي في لفظة (النبرة)، فقد فسرها بمرادفتها (الهمزة)، ثم عاد وفسر هذه الاخيرة بالاولى[4]. ومثله أيضا، ما قاله ابن فارس في لفظة (الحقد)، فقد فسرها بمرادفتها (الضغن)، ثم عاد وفسر هذه الاخيرة بالاولى[5].

ويتجسد سوء التفسير ايضا، في التفسير بكلمة مشتقة من الكلمة المراد تفسيرها من غير شرح لمعناها، كقول الصاحب بن عباد: ((فم صنخ: خرجت أصناخه))[6]. وقوله ايضا: ((الخزل: الانخزال في المشي))[7].

---

(1) محيط المحيط: ١/٥٥ (أين)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٧م.
(2) ينظر: ١/٢٢٨.
(3) ينظر: ١/٢٢٩.
(4) ينظر: ديوان الادب: ١/١٤٠.
(5) ينظر: المجمل : ١/٢٤٥ (حقد)، و ١/٥٦٣ (ضغن).
(6) المحيط: ٤/٢٤٩ (صنخ).
(7) المصدر نفسه: ٤/٢٧٦ (خزل).

## ثالثا: أهمال التفسير

يهمل المعجمي التفسير في عدد من الالفاظ، ويشغل بتوضيح جوانب لا تعين القارئ على معرفة دلالة اللفظة، وكأن القصد من وضعها في المعجم لم يكن تفسيرها، فمنهم من يكتفي بالاشارة الى أن ذلك لغة، كقول الفارابي في باب (فعلة): ((الحصبة: لغة في الحصبة))[١]. ثم اعاد ذلك في باب (فعل)، إذ قال: ((الحصبة: لغة في الحصبة))[٢].من غير شرح لمعناها. وقد يكتفي في مواضع متعدد بتوضيح الاستعمال اللغوي للفظة فقط، كقوله: ((يقال: رأيته جهرة، وكلمته جهرة))[٣].

ومن صور اهمال التفسير الاخرى، الاكتفاء ببيان مفرد اللفظة أو جمعها، ظنا أن ذلك كفيل بشرح معناها، كقول الصغاني: ((واحد قصب الثياب قصبي))[٤]. وقول الرازي: ((البقعة ((البقعة من الارض واحدة البقاع))[٥].

---

[١] ديوان الادب: ١٣٤/١.
[٢] المصدر نفسه: ٥٢٠/١.
[٣] المصدر نفسه: ١٣٨/١.
[٤] التكملة: ٢٤١/١ (قصب).
[٥] المختار: ٥٩ (بقع).